«حماس» تعوّم «بيبي»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

باختصار شديد، ليست هناك سوى خلاصة وحيدة من كل ما تشهده أرض فلسطين هذه الأيّام. تتمثّل هذه الخلاصة في أن القضيّة الفلسطينية ما زالت حيّة ترزق وأنّ لا مفرّ في نهاية المطاف من إيجاد تسوية سياسيّة تأخذ في الاعتبار السقوط المدوي للخيار الذي اعتمده بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي في الـ12 سنة الأخيرة والقاضي بالخلاص من القضيّة الفلسطينية وإلغاء الشعب الفلسطيني.

تكمن المشكلة الأساسية في أن الوصول إلى هذه الخلاصة ما زال يحتاج وقتا وضحايا كثيرة في غياب الرؤية السياسية ذات الطابع العقلاني في إسرائيل من جهة ووجود حركة "حماس" من جهة أخرى. يضاف إلى ذلك، في طبيعة الحال، غياب قيادة فلسطينية في مستوى الأحداث في رام الله.

ما هو مخيف، إلى اللحظة، أن «حماس» لا تحدّد ما الذي تريده باستثناء أنّها تريد إقامة توازن رعب مع إسرائيل بما يسمح لها بالبقاء في غزّة والسعي إلى التمدّد لاحقا في الضفّة الغربيّة. لا تمتلك حدّا أدنى من الوعي السياسي يسمح لها بادراك أن المشروع الوطني الفلسطيني شيء وخدمة إسرائيل شيء آخر

ثمّة مصلحة مشتركة بين اليمين الإسرائيلي و"حماس" في استمرار التصعيد والابتعاد عن كلّ ما من شأنه التوصّل إلى أيّ تسوية سلميّة تضمن الحدّ الأدنى من الحقوق الوطنية لشعب قدّم الكثير من التضحيات وارتكبت قياداته الكثير من الأخطاء.

في مقدّم هذه الأخطاء السماح لقوى خارجية، على رأسها إيران، بالمتاجرة بالقضيّة الفلسطينيّة بالجملة والمفرّق في الوقت ذاته. لم تعترض إسرائيل يوما على سلوك "حماس". كانت تعرف دائما بارتباطاتها الخارجية، خصوصا بإيران. كانت تعرف تماما أن ممارسات تلك الحركة، التي هي جزء لا يتجزّأ من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، تصبّ في تبرير الجمود السياسي. يعني هذا الجمود أوّل ما يعنيه استمرار الاستيطان في الضفّة الغربيّة وذلك تحت شعار "لا وجود لطرف فلسطيني يمكن التفاوض معه".

لعلّ أفضل هديّة قدمتها "حماس" لليمين الإسرائيلي، ولـ"بيبي" نتنياهو بالذات، الصواريخ التي أطلقتها من غزّة. عوّمت الصواريخ "بيبي" بعدما كان الانطباع السائد أن حياته السياسيّة انتهت. من الواضح أنّه لم يعد ممكنا القول إن هذه الصواريخ من النوع المضحك المبكي. على العكس من ذلك، تبيّن أن "حماس" استطاعت الحصول على صواريخ فعّالة بكميات كبيرة أخيرا. يمكن لهذه الصواريخ بلوغ العمق الإسرائيلي. أدّى إطلاق الصواريخ إلى التغطية على ثورة أهل القدس على الاحتلال في ظلّ محاولة الاحتلال مصادرة ممتلكات فلسطينية في حي الشيخ جرّاح القريب من المسجد الأقصى.

فجأة، انتقل اهتمام العالم إلى غزّة وصواريخ "حماس" التي تسببت في كارثة أخرى على أهل غزّة في ضوء رد الفعل الإسرائيلي الذي يمكن وصفه بالوحشي والذي لا يفرّق بين مقاتل ورجل وامرأة وطفل. ما هو مخيف، إلى اللحظة، أن "حماس" لا تحدّد ما الذي تريده باستثناء أنّها تريد إقامة توازن رعب مع إسرائيل بما يسمح لها بالبقاء في غزّة والسعي إلى التمدّد لاحقا في الضفّة الغربيّة. لا تمتلك الحركة، التي أقامت إمارة اسلاميّة في غزّة على الطريقة الطالبانية (نسبة إلى طالبان) حدّا أدنى من الوعي السياسي يسمح لها بادراك أن المشروع الوطني الفلسطيني شيء وخدمة إسرائيل شيء آخر.

مخيف الدور الذي تلعبه "حماس". ما هو مخيف آخر رفض القيام بأيّ عمليّة نقد للذات وذلك منذ الانسحاب الإسرائيلي من غزّة كلّها في آب – أغسطس من العام 2005 تمهيدا لطرد "فتح" من القطاع والتفرّد بحكمه.

ستؤدي تصرّفات "حماس" إلى تدمير كبير في غزّة على كلّ المستويات. سيزداد وضع الغزّاويين سوءا. لا تريد الحركة العودة بالذاكرة إلى الماضي القريب حين كان في استطاعتها تحويل غزّة بعد الانسحاب الإسرائيلي إلى كيان ناجح يدحض ادعاءات الإسرائيليين الذين يقولون إن الفلسطينيين لا يستحقّون دولة مستقلة.

سترتكب إسرائيل مزيدا من الجرائم. سيتفرّج العالم على ما تقوم به. لا وجود لأيّ تعاطف مع "حماس" في حين اكتفت الإدارة الأميركية بإرسال مبعوث إلى المنطقة من درجة دنيا ليس معروفا هل لديه قناة اتصال مباشرة مع وزير الخارجية أنطوني بلينكن.

في ظلّ المزايدات الحمساوية التي لا حدود لها والتي لا يمكن أن تؤدي سوى إلى إلحاق مزيد من التدمير في غزّة، وفي ظلّ غياب العقل السياسي الإسرائيلي، لا يمكن تجاهل أن الشعب الفلسطيني الذي ثار في القدس على الاحتلال سجّل نقاطا تصلح للمستقبل. أثبت قبل كلّ شيء أن قضيّته حيّة وأنّه موجود على الخريطة السياسيّة للمنطقة وأنّ لا مفر من ترجمة ذات طابع جغرافي لهذا الوجود.

عاجلا أم آجلا سيتغيّر الوضع في غزّة. لا يمكن للقطاع الذي مساحته 360 كيلومترا مربّعا أن يبقى سجنا كبيرا في الهواء الطلق لمليوني مواطن فلسطيني. ما لن يتغيّر في المقابل هو صمود الشعب الفلسطيني الذي لم يعترض، انطلاقا من القدس، على "حماس" والسلطة الوطنيّة المترهّلة فحسب، بل حرّك كلّ فلسطيني في فلسطين، بما في ذلك أولئك الذين بقوا في حيفا ويافا واللد وغيرها بعد العام 1948 رافضين الخروج من أرضهم.

أثبت الفلسطينيون مرّة أخرى أن قضيتهم غير قابلة للإلغاء، مثلما أن حقوقهم كشعب موجود في المنطقة ومنتشر في العالم غير قابلة للتصرّف. يدركون أنّهم يواجهون حلفا يضمّ متطرفين من كلّ حدب وصوب وأن ليس أمامهم من خيار سوى الصمود. ما لا يمكن تجاهله في نهاية المطاف أن معطيات جديدة مختلفة ستولد من الحرب الدائرة حاليا.

لا شكّ أن "حماس" استطاعت إيجاد تحدّ في غاية الأهمّية في وجه إسرائيل، خصوصا بعدما بلغت صواريخ الحركة تلّ أبيب. لكنّ السؤال الذي سيطرح نفسه ماذا بعد ذلك؟ وما الفائدة من الصواريخ إذا كانت ستستخدم في التغطية على ثورة أهل القدس بدل توفير الدعم لها؟

من مصلحة حماس التصعيد مع إسرائيل

عندما يتعلّق الأمر بالمواجهة السلميّة، يخرج الفلسطينيون منتصرين وعندما تكون المواجهة مسلّحة يفقدون كلّ ما حققوه في السياسة. من هذا المنطلق، هناك خوف على ثورة القدس بعدما سعت "حماس" إلى خطفها وأخذها إلى غزّة... وكانت النتيجة إعادة تعويم لـ"بيبي" واليمين الإسرائيلي اللذين كانت دائما على تناغم معهما من حيث تدري أو لا تدري!

السلة فلسطينية والعنب لإيران

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

في كل مرة، وعندما يعتقد العالم بأن أوراق القضية الفلسطينية قد طويت وأصبحت ملفا مُغلقا ومختوما بالشمع الأحمر ومركونا على الرفوف العالية، وصار على الشعب الفلسطيني التسليم بقضاء الله وقدره، والقبول بالعيش تحت وصاية المنتصر الإسرائيلي، والاكتفاء بالبكاء على الأطلال المتبقية من فلسطين، يرتكب المستوطنون اليهود حماقة من حماقاتهم اللاأخلاقية فيفتحون أبواب جهنم جديدة على أنفسهم وحكومتهم، وعلى الشعب الفلسطيني، ويُثبتون للعالم أن فلسطين قضيةُ حيّة لم تمت، ولن تموت.

فما فعله اليهود، حكومة وجيشا وشعبا، في القدس وغزة، مؤخرا، لا يمكن وضعه بغير خانةِ الغرور والغطرسة والغباء.

فالغارات الجوية والبحرية والبرية على المنازل والمؤسسات والمساجد والمستشفيات ودوائر الأمن في قطاع غزة، والمستمرة منذ أيام، والتي يرفض نتنياهو وقفها، برهانٌ مؤكد على أن الثقة بإسرائيل سذاجة، وأن أوراق التطبيع القديمة والجديدة لم ولن تخفف من غلوائها وأطماعها، ولو بمقدار.

إن دموية نتنياهو الجديدة قتلت الأحلام التي راودت المتفائلين العرب والأجانب في إمكانية حفلات التطبيع الأخيرة في تسهيل ولادة سلام عادل وشامل يضع نهاية لعصور الغزو والاستيطان، ويجنب الفلسطيني واليهودي، معا، الخوف من الغد، وسيولاً من الدم والدموع.

ولو تُركت الانتفاضة الجديدة على عفويتها وشعبيتها وشجاعة جماهيرها الصامدة الصابرة، وبقيت دون صواريخ لأحرجت الإسرائيليين والأميركان ومجلس الأمن الدولي الذي فقد البصر والبصيرة، وعرب التطبيع، ولأعادت فتح الملفات القديمة، ولابتدأ الحساب والكتاب.

ولكن الحرب التي أشعلتها كتائب القسام والجهاد الإسلامي التابعة لحماس الموالية لإيران ضد إسرائيل نتنياهو عبثية استعراضية خاسرة، مقدما، لأنها بين قوتين غير متكافئتين، ولأن العامل الدولي ما زال منحازا لإسرائيل، حتى وهو يعرف أنها ظالمة، وأن ظلمها بلا حدود.

نعم إن صواريخ حماس قتلت بضعة يهود، ولكن ليس بينهم عسكري محارب واحد، وأطلقت صفارات الإنذار، وأرعبت المستوطنين، وأصابت بضع سيارات، وكسرت زجاج بضعة منازل، إلا أن شهداءنا وجرحانا والمدفونين من أبنائنا وبناتنا تحت الأنقاض أكثر، وبالمئات. والأكثر إيلاما أنها تضحيات مجانية دون ثمن.

فهويتها الإيرانية المكشوفة أفقدتها ما كان يلزمها من وقفة عربية ودولية صادقة وحازمة وشاملة تخلط أوراق القضية، وتجبر الجميع على العودة إلى العقل والعدل، ولو على مراحل.

فصواريخها العبثية لم تفعل سوى أنها فتحت شهية نتنياهو للمزيد من القتل، والكثير من التدمير، بذريعة الدفاع عن النفس، وأيده في ذلك الرئيس الأميركي جو بايدن ووزير خارجيته وأكثر من زعيم أوروبي منافق طالب القاتل والمقتول بضبط النفس بعد خراب البيوت.

إنها حرب إيرانية مع إسرائيل، ولكن بدم الإنسان الفلسطيني ورزقه وكرامته، لا من أجل محو إسرائيل، كما وعد الخميني ووريثه علي خامنئي من قبل ما يقرب من نصف قرن، ولكن لتحقيق حزمة أهداف سياسية توسعية طائفية عنصرية أنانية، أولها للاستهلاك الداخلي، حيث أراد أن يقنع مواطنه الإيراني الغاضب على جبنه وعدم رده على مسلسل الغارات الجوية والبرية والبحرية الإسرائيلية المدمرة المُهينة على مجاهديه ومخازن سلاحه في سوريا والعراق ولبنان، وفي إيران ذاتها، ويقول له إنه ردَّ أخيرا من غزة بصواريخ إيرانية ولكن بأيدي وكلائه في جمهورية حماس.

الحرب التي أشعلتها كتائب القسام والجهاد الإسلامي التابعة لحماس الموالية لإيران ضد إسرائيل نتنياهو عبثية استعراضية خاسرة، مقدما، لأنها بين قوتين غير متكافئتين، ولأن العامل الدولي ما زال منحازا لإسرائيل، حتى وهو يعرف أنها ظالمة، وأن ظلمها بلا حدود

وثانيها إشغال حكومة نتنياهو وحملها على التوقف عن الضغط على إدارة بايدن لمنعها من العودة إلى الاتفاق النووي القديم دون تعديل، ومن رفع العقوبات وإطلاق الأموال المجمدة.

وثالثها الضغط على إدارة بايدن التي تشتهي العودة إلى الاتفاق النووي، دون تعديل، ولكنها محكومة بضغوط داخلية من بعض حزبها الديمقراطي، ومن كل خصمها الجمهوري، ومن حلفائها في المنطقة.

ورابعها إبطال أو تعطيل اتفاقات التطبيع العربية – الإسرائيلية القديمة والجديدة، أو تعقيدها على الأقل، بجرّ نتنياهو إلى حملات قمع وتدمير جديدة، ثم بتوظيف الغضب الشعبي الساخن الذي كان لا بد أن يشتعل بسببها في دول التطبيع العربية ذاتها، وفي خارجها، على جرائم نتنياهو ضد المدنيين الفلسطينيين.

وخامسها وقف الهجمات الإسرائيلية على مواقع الحرس الثوري والميليشيات، وعدم المغامرة مجددا بالتسلل إلى داخل إيران لممارسة الاغتيال أو لتفجير مواقع حساسة.

لقد كان الواجب الوطني والأخلاقي والجهادي يفرض على حماس، قبل أن تطلق صواريخها على مدن داخل فلسطين المحتلة، أن تسأل الولي الفقيه، هل هو جاهز ومستعد لاغتنام فرصة الحرب الجديدة التي تنوي إشعالها فيعلن النفير العام ويقرر الدخول الشامل إلى فلسطين، جوا وبحرا وبرا، من جنوب لبنان والجولان وغزة، بكل جيوشه وصواريخه ومسيَّراته وبوارجه وطائراته وميليشياته العراقية واللبنانية والسورية واليمنية، ليجعلها الحرب الأخيرة التي يفي فيها، أخيرا، بوعده، فيحرر فلسطين من النهر إلى البحر، ويمحو إسرائيل في سبعة أيام؟ وهو الذي عودنا على خوض حروبه بالواسطة، ومن بعيد. فإن نجحت فهو صاحب نجاحها، وإن فشلت فهو لم يخسر سوى حزمة صواريخ وبعض الخام والطعام والمزيد من الخيام.

لكن العتب ليس عليه، بل على قادة حماس والجهاد الإسلامي الذين خربوها وجلسوا على تلها. أشعلوها ثم تواروْا عن الأنظار وتركوا رفاقهم ومواطنيهم يتلقون صواريخ نتنياهو، وحيدين، ودون معين.

يكفي متاجرة بآلام الفلسطينيين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk